بمناسبة مرور «100» يوم على استشهاده..

الشهيد النبيل له من اسمه نصيب

الأمناء/كتب/ علي صالح الخلاقي:

الشـــهيد نبيل القعيطي- الـــذي نالته رصاصات الغدر أمـــام منزله في الثاني من شـــهر يونيو 2020م، عن عمر لم يَتَعَدَّ 34 عاماً- له من اســـمه نصيب فقد عُرف بنُبله وسُـــمُوّ أخلاقه، وبوجهه البشوش الذي لا تفارقه الابتســـامة التلقائية المحببة وغير المصطنعة، وبتواضعه الجم ونقاء سريرته بشهادة كل من عرفه أو عايشه أو عمل معه من زملائه، وهو ما انعكس في الكم الهائل من غصَصَ الحزن والأسى التي تركها رحيله في نفوس الجميع وما برحت تخيم على كل محبيه- وما أكثرهم- كلما ذُكر اســـم نبيل، رحمة الله تغشاه وطيَّب ثراه.

الشهيد نبيل القعيطي.. حفر اسمه في ذاكرة الصحافة المحلية والعربية والعالمية، حياً وهـــو يصول ويجـــول بكاميرته التي اختارهـــا لينقل الحقائق، ثم اشـــتهر أكثر وذاع صيتُه بعـــد اغتياله غـــدراً، بما أثاره استشهاده من موجة استياء واستنكار على نطاق واسع محلياً وعربياً ودولياً، لم يسبق لغيره أن بلغ رحيله مثل هذا التأثير.. إذ تردد صدى استشـــهاده في كثـــير من الصحف العربيـــة والعالمية وبالقنـــوات الفضائية وبلغات عديدة، تعكس عظم المصاب الجلل، والخســـارة الفادحة التي تركها الشـــهيد باستشـــهاده غدراً أمام منزله وبالقرب من أسرتـــه وأطفاله، وهو مـــا لم يكن يتوقعه أحد، فالعدســـة التي يحملها لا تمثل خطراً قاتلاً، وليست فوهة مدفعية أو دبابة، وقلب حاملها لا يحمل الضغينـــة لأحد، بل يبادل الناس ابتســـامته المعهـــودة التي لا تفارق شفتيه.

لكن يبدو أن هناك من رأى في عدســـة كاميرته أقوى من فوهـــة مدفع لما لها من أثر في إظهـــار الحقيقة التي لا يريدون لها الظهور، لا سيما من جبهات القتال التي كان يتنقل فيها في الخطوط الأمامية بجســـارة وإقدام، غير عابئ بالمخاطر، لينقل الحقيقة إلى قنوات العالم، وظلـــت مادته الإعلامية مصدراً تتناقله القنوات.

نبيل القعيطي..شاب جنوبي، متواضع، لم تتـــح له الفرصة لإكمال تعليمه، فشـــق طريق النجـــاح بعصاميته ومثابرته، وعمل في أعـــمال خاصة لإعاشـــة الأسرة، حيث التحق للعمـــل في محل لبيـــع قطع غيار ســـيارات، وبيع وشراء الحديد الخردة، لكنه مثل كل شـــباب الجنوب لم يقف متفرجاً أو مكتوف الأيدي حينما هبت انتفاضة الشعب الجنوبي الســـلمية، فاتجه إلى الساحات، وتقدم الصفـــوف ليوثق بعدســـة تلفونه البســـيط عنفوان الشعب وغضبه وما رافق ذلك من جرائم الاحتلال وصنوف القمع تجاه انتفاضة شـــعبنا السلمية منذ عام 2007م، وحينما رأى أهمية وتأثير ما كان يقوم به من نقل مباشر للصور الحية في وسائل التواصل على مستوى الداخل والخارج لإيصال صوت شعبنا المطالب بحريته واستقلاله واستعادة دولته من براثـــن عصابة الغدر في صنعاء، حتى تشـــجع أكثر، وأتيح له الالتحاق بعدة دورات تدريبيـــة في فـــن التصوير، صقلت موهبتـــه، واتخـــذ من التصويـــر حرفة له ومن الكاميرا ســـلاحاً فعالاً في وجه سلاح الاحتلال وقواته القمعية. وتمكن من خلال الممارسة العملية من تطوير نفسه وصقل ملكته في فن التصويـــر وتعلم كيف ومتى يوجه عدســـته وفي أي لحظة يضغط على مهمازها لينقل تفاصيـــل الأحداث بصورة جعلت منه مصوراً محترفاً، تتسابق المواقع على نشر صوره، بل وجذب اهتمام القنوات والوكالات العربية والدولية، وحظي بشهرة أكثر مع غـــزو الجنوب عام 2015م من قبل الحوثيين والعفاشـــيين وهزيمتهم، إذ برز نجم نبيل مع الشـــباب المقـــاوم وهو يوثق بعدســـته المآثر البطولية لصناع النصر من أبطـــال المقاومة الجنوبيـــة وهم يدحرون جحافل الغزاة الحوثيين والعفاشيين بدعم تام من التحالف العربي، وحاز في ذلك العام على عقد عمل كمراسل ومصور فيديو حربي محترف، مع وكالة الأنباء الفرنسية (AFP)، ومتعاوناً مع تلفزيون ربتلي، وسكاي نيوز عربية، والعربية والحدث. ثم استمر نبيل في أداء مهمته بذات الحماس والحب والإخلاص مع القوات الجنوبية التـــي ظل لصيقاً بها حتى آخر لحظة مـــن حياته في المواجهات مع جحافل الجماعـــات الإرهابية، ورأيناه بجانب الشـــهيد القائد أبى اليمامة في كثير من المواقع وخنادق القتـــال، ثم مع أبطال القوات المســـلحة الجنوبية في مواجهاتها البطولية في الشيخ ســـالم والطرية حتى اللحظات الأخيرة قبيل استشـــهاده، حيث كان – كعادته- مصدراً رئيسياً لنقل الحقائق المصـــورة من أرض المعركـــة والتي تتلقفها الوسائل الإعلامية والقنوات الفضائية.

كان نبيـــل القعيطـــي مصـــوراً بارعاً، والأهم من ذلك صاحـــب موقف مع قضية شعبه واســـتقلاله وحريته، لم يتراجع عنه لحظة، وحينما تم الإعلان عن قيام المجلس الانتقـــالي الجنوبي بتفويـــض من غالبية شـــعب الجنوب، كحامل لقضيته الرئيسية، انحاز نبيل مع خيار شـــعبه، وكان حضوره الإعلامي قوياً في كل نشاطاته التي وثقها ونقلها للفضاء الإعلامي، وخسر الانتقالي وشـــعب الجنوب أحـــد رمـــوزه الإعلامية المتميزة، وتعبيراً عن عظم تلك الخسارة التي لا تعوض، ازدانت قناةَ عدن المستقلة، لسان حال المجلـــس الانتقالي الجنـــوبي بصورة الشـــهيد في واجهتها خلال أيـــام العزاء، وكرّست له حيزاً كبيراً من برامجها.

ويعرف القـــاصي والـــداني أن نبيل لم يقبل أن يســـخر كاميرته ومواقفه للكسب الرخيص على حســـاب قضايا شـــعبه أو الاتجار بدماء الشـــهداء، ورفض بحزم كل الاغـــراءات المادية الكبيرة، التي يســـيل له لعاب المتاجرين بمواقفهم، ولم يرضخ لكل العـــروض المغرية من قبل بعـــض القنوات المعادية لقضيـــة شـــعبنا، إذ كان موقفه منها واضحاً وحاســـماً، ومن حسن الحظ أنه ســـجل بصوته وبنبرته الصادقة موقفه الرافض لتلك الإغـــراءات، وهو الموقف الذي جعله يكبر في قلوب كل أبناء شعبه.

ويكفي الشـــهيد النبيل فخـــراً ومجداً، أنه حاز على الكثـــير من التكريمات المحلية والدوليـــة في حياتـــه، وازداد تكريمـــه بعد استشهاده.

ففي حياتـــه الزاخـــرة بالنجاح حصد العديد من الجوائز والشهادات التقديرية في زمن قياسي بما في ذلك العالمية، ومن أهمها جائزة «روري بيك» البريطانية في نسختها لعـــام 2016م، وهي جائزة ســـنوية تمنح لأفضل مصوري الحرب وصحافيي الفيديو المســـتقلين حـــول العالم، وقـــد رفعته إلى مصاف المصورين العالميين، نظير جسارته وإقدامه كمصور حربي من طراز الشجعان.

كما كرمتـــه وكالة الأنباء الفرنســـية (فرانس برس AFP) بجائزة عينية.

كما حاز عـــلى الكثير من الشـــهادات التقديرية من جهات وهيئات محلية وعربية وأجنبية عن دوره المتميز كمراســـل حربي، ومنها شهادات تقديرية عن دوره الإنساني من كل من الصليب الأحمر الدولي، والهلال الأحمر اليمني، والهـــلال الأحمر الإماراتي لثلاث مـــرات، كما مُنح درع الإخوة والوفاء كمراسل مستقل لقناة سكاي نيوز عربية، ودرع الإخوة والوفاء بصفته الشـــخصية، «لجهـــوده الفاعلة في إنجاح عـــام زايد، 2017م».

لا يمكن لنـــا حصر أو جرد أعمال ومآثر الشـــهيد نبيل لكثرتها، ويكفيـــه فخراً أن تقاريره المصورة كانت مادة رئيســـية طوال سنوات عمله مصوراً حربياً ومراسلاً لقنوات ووكالات دولية، كـــما خلف لنا ارشـــيفاً مصوراً ثرياً يخلد نضالات شعبنا وتضحياته الجســـام، لا بد من الاعتناء به والاستفادة منه لقيمته التاريخية.

وختاماً فقد حرصنا في هذا الكتاب على رصد أهم جوانب ســـيرته وحياته المشرفة، الحافلة بالعطاء، والزاخرة بالنجاحات التي تردد صداها محلياً وعربياً وعالمياً، بما لم يحققه أحد من زملائه.

ويظل الشهيد نبيل القعيطي بابتسامته المحببة، وبمواقفه النبيلـــة، رمزاً من رموز نضالنا الوطني، وأكـــثر حضوراً في ذاكرة ووجدان شـــعبنا مع كل الشـــهداء الأبرار بمناسبة مرور 100يوم على استشهاده.